المحاضرة الرابعة عشر: المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي

تقديم:

اعتقد الكونت **دي بورمون** أن توقيع الداي حسين على معاهدة الاستسلام يوم 05 جويلية 1830م بعد سقوط مدينة الجزائر، ستفتح المجال واسعا أمام احتلال باقي المناطق، والحقيقة لم يكن اليوم الأول نهاية المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الأجنبي وإنَّما نهاية السلطة السياسية غير الوطنية التي تنحدر شخصياتها من أصول تركية وأوروبية آثرت التقارب مع الأقلية اليهودية النَّافذة، الشيء الذي دفع الشعب إلى الالتفاف حول زعامات دينية وسياسية للمشاركة في المقاومة المسلحة بشقيها الشعبي والرسمي.

على إثر ذلك قرر أحرار الجزائر عقد اجتماع في برج البحري(تامنتفوست) يوم 23 جويلية 1830م وقرروا التصدي للغزو بقوة السلاح كخيار وحيد وأرسلوا إلى القبائل والأعراش حتى يحثوها على الجهاد، وفعلا بدأت فلول المقاومة تظهر في المتيجة بقيادة ابن زعموم والحاج علي بن السعدي والحاج محي الدين بن المبارك[1].

المقاومة الشعبية المسلحة:

ثورة الأمير عبد القادر 1832-1847

1- **شخصية الأمير:** هو عبد القادر بن محي الدين الهاشمي الإدريسي النسب♦، رمز المقاومة الجزائرية ومؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، من مواليد يوم الجمعة 13 ماي 1807 بدوار القيطنة الواقعة بسهل غريس غرب ولاية معسكر؛ حفظ القرءان الكريم حفظًا تَامًّا وهو لم يتجاوز 12 عاما من عمره، كما درس الحديث وأصول الشريعة ومبادئ الفقه عن والده وهو في سن 15 تزوج من ابنة عمه لالة خيرة التي كانت على جانبٍ من الأخلاق الفاضلة.

إشتهر الأمير عبد القادر بشدة البأس وقوة البدن والفروسية كما كان شغوفا بتزيين سلاحه وممارسة رياضة الصيد ونظم الشعر، فجمع بذلك بين السيف والقلم كما اقتنع بحقيقة هامة تعلمها من والده وهي: ضعف الأتراك السياسي والعسكري مع اتساع استغلالهم لطبقات الشعب الجزائري.

بعد احتلال الجزائر، عرض مشايخ وأعيان الغرب الجزائري مسؤولية الإمارة على محي الدين الذي رفضها لكبر سنه وقبل أمر الجهاد، مقترحًا ولده عبد القادر قائدًا للجيش، فعقدت له البيعة يوم 27 نوفمبر 1832م تحت شجرة الدردار بسهل غريس حيث تعهد الأمير عبد القادر العمل بالقرءان الكريم

---

[1] خالد توازي، مرجع سابق، ص 29.

♦ الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية على الكتاب والسنة، سليل أسرة شريفة كانت على رأس الزاوية القادرية، ما أعطى له رمزية دينة وثورية مكنت القبائل من اتِّباعه في مقاومته للاستدمار الفرنسي منذ البواكير.

والجهاد في سبيل الله قائلا: " لن آخذ بقانون غير القرءان، لن يكون مرشدي غير تعاليم القرءان، القرءان وحده، فلو أن أخي الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرءان لمات".

بعد ذلك تمت للأمير عبد القادر البيعة الثانية أسوة بالرسول عليه الصلاة والسلام في قصر الإمارة يوم 04 فيفري 1833م وأختار معسكر مقرًا لإمارته.

2-التنظيم السياسي والإداري والعسكري لدولة الأمير عبد القادر:

أولا/التنظيم السياسي والإداري: اعتمد الأمير عبد القادر على التنظيم الفيدرالي للإمارة التي قسمت إلى 08 مقاطعات إدارية، كل مقاطعة يرأسها خليفة الأمير وهي:

-مقاطعة تلمسان برئاسة الخليفة محمد البوحميدي

-مقاطعة معسكر برئاسة الخليفة محمد بن فريحة ثم الخليفة مصطفى بن أحمد التهامي.

-مقاطعة مليانة برئاسة الخليفة محي الدين بن علال ثم الخليفة محمد بن علال.

-مقاطعة التيطري برئاسة الخليفة مصطفى بن محي الدين ثم الخليفة محمد البركاني.

-مقاطعة برج حمزة (البويرة) برئاسة الخليفة أحمد بن سالم الدِّيسي.

-مقاطعة مجانة برئاسة الخليفة محمد بن عبد السلام المقراني ثم الخليفة محمد الخروبي.

-مقاطعة بسكرة برئاسة الخليفة فرحات بن السعيد ثم الخليفة الحسين بن عزوز.

-مقاطعة الصحراء (الجنوب الغربي) برئاسة الخليفة، قدور بن عبد الباقي.

وقد تميزت دولة الأمير عبد القادر بحسن التنظيم اذ قسم كل مقاطعة الى دوائر وكل دائرة يرأسها قائد برتبة **أغا**؛ يعين لمدة عاميين قابلة للتجديد، وبدورها كل دائرة تنقسم الى وحدات إدارية صغيرة يحكمها شخص برتبة "قايد" يعين لمدة سنة كاملة قابلة للتجديد يُسَاعِدُهُ شيوخ وأعيان القبيلة أو القرية لمُدة زمنية غير محددة.

كما وضع الأمير عبد القادر القوانين المنظمة لمؤسسات الدولة الناشئة والمستمدة من المبادئ الإسلامية وهو القائل" :لن آخذ بقانون غير القرءان، لن يكون مرشدي غير تعاليم القُرءان، القُرءان وحده، فلو أنَّ أخِي الشَّقيق قد أحلَّ دمه بمخالفة القرءان لمات"، كما صك العملة باسمه.

ثانيا /التنظيم العسكري: شرع الأمير عبد القادر في تكوين الجيش الوطني مُعتمدًا على كُبْرَياتِ القبائل العربية أبرزُها قبيلة بَنِي عامر الهلالية في تزويده بالعناصر المتحمسة للجهاد ضد الاحتلال الفرنسي كما عمل على إقامة مَصانع البارود والأسلحة.

إعتمد الأمير عبد القادر على تكتيك الكر والفر، أو ما يعرف حديثا بحرب العصابات بالنَّظر إلى الاختلال في ميزان القوة مع القوات الفرنسية الغازية أشهرها معارك خنق النطاح الأولى والثانية وبرج العين وأعنفها معركة وادي التافنة بتلمسان 1836م التي أذاق فيها القائد كلوزيل مرارة الهزيمة، ففي أفريل من عام 1836 هزم جيش الأمير القوات الفرنسية بواد التّافنة وطردها من تلمسان بعد ان استولت عليها

القوات الفرنسية بمساعدة بعض الخونة واستمر الصراع قرابة عام ونصف إلى ان استلمها الأمير بموجب معاهدة التافنة المبرمة بين الجنرال بيجو في 30 ماي 1837[1] والتي أجبر فيها الطرف الفرنسي على التوقيع على المعاهدة، وأهم ما ورد في هذه المعاهدة ما يلي:

- ✓ اعتراف فرنسا بسيادة الأمير على اقليمي التيطري و وهران عدا المتيجة ومدن وهران، مستغانم و أرزيو وكذلك على القسم الذي لم يدخل تحت نفوذ فرنسا بإقليم الجزائر من النّاحية الشّرقية؛
- ✓ تطبيق مبدأ حرية التجارة على الطرفين؛
- ✓ تتخلّى فرنسا على مدينة تلمسان ومرسى رشقون؛
- ✓ تعيين فرنسا والأمير ممثلين في مدن الطرف الآخر لرعاية مصالحها.

بعد خرق معاهدة التافنة 1839م بدأت المرحلة الثانية من مقاومة الأمير عبد القادر التي خسرها بعد اعتماد **المارشال بيجو** على سياسة "الأرض المحروقة" وتشتيت القبائل الموالية للأمير فضلا عن تخلي السلطان المغربي عبد الرحمن عن دعمه ومساندته تحت تأثير الضغوطات الفرنسية ولم يبق غير رفع الرَّاية البيضاء نهاية للجهاد الذي دام 17 عام كاملًا.

3- نهاية المقاومة: خلال عام 1847م قبل الأمير عبد القادر الشروط الفرنسية بإنهاء المقاومة شريطة السماح له بمغادرة البلاد نحو الوجهة التي يَختارها، لكن السلطات الفرنسية نكثت بالعهد وأقدمت على سجنه لمدة 05 سنوات بقلعة **لامبواز بفرنسا**، وبعد إطلاق سراحه توجه إلى اسطنبول حيث عرض عليه السلطان العثماني البقاء؛ لكنه فضَّل الاستقرار بالشَّام حتى وافته المنية يوم 24 ماي 1883م ودُفِنَ هناك إلى غاية نقل رفاته الطاهرة إلى مربع الشُّهداء بمقبرة العالية يوم 05 جويلية 1966م.

[1] عبد القادر سلاماني، **الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة 1832-1847**. الجزائر: دار قرطبة، 2013، ص 117.